تفسير الدافعية

❖ **التفسير البيولوجي:**

ويرى أصحابه أن جذور الدافعية تكمن أساساً في العمليات الحيوية. وتركز على الآليات الحيوية الفطرية كالغرائز، أو الحاجات البيولوجية كمحددات أساسية لأفعالنا.

❖ **التفسير الاجتماعي :**

ويرى أنصاره أن أصول الدافعية توجد في العمليات الاجتماعية وحدها. وتركز على المحددات الثقافية والحضارية في تشكيل السلوك الدافعي لدى الناس.

❖ **الاتجاهات التوفيقية :**

وتقوم على الأخذ بالأسباب الحيوية والاجتماعية معاً كأساس للدافعية.

وفيما يلي موقف النظريات المختلفة من تفسير مصدر السلوك المدفوع (على متصل / البيولوجي / البيئى) :

١- التفسير الديني – الأخلاقي – الفلسفي :

وكان لهذا التفسير وجود حقيقي قبل القرن الثامن عشر، وكنتيجة لسيادة المعتقدات الدينية والأفكار الفلسفية المرتبطة به، والفكرة الأساسية في هذا التفسير أن الإنسان قادر على ممارسة الضبط الكامل على أفعاله – بوصفه كائنا مفكراً – يملك القدرة على كبح أهوائه تسييرها وتوجيهها بإرادته واختياره.

ويتبنى عدد كبير من علماء النفس هذا الموقف، الذي يعيد للإنسان إرادته، وقدرته على الاختيار والتوجيه، ومعظمَ هؤلاء العلماء ينتمـون إلى الاتجاه الإنساني باعتباره التيار الأقوي في علم النفس المعاصر.

٢- التفسير الغرائز :

أ- تفسير ماكدوجال :

وجد ماكدوجال عام ١٩٠٨ في حجج داروين التي نشرها في كتاب "أصل الأنواع" عام ١٨٥٣م – نقول وجد – منطلقاً لتفـسير "غرضـية السلوك" أو أطلق عليه " نظرية الغرائز". وتسلم هذه النظرية بأن أفعـال الإنسان شأن أفعال الحيوان، هي محصلة للغرائز، أي لتلـك الميـول أو النزاعات الفطرية غير المتعلمة مما يدفعنا لأن نسلك بطريقة خاصة في استجابتنا لحاجاتنا البيولوجية والاجتماعية المختلفة.

وقد تعرضت نظرية ماكدوجال لانتقادات متعددة، مما أدى به إلى أن أدخل تعديلات على نظريته، ملخصها أن الإنسان يتميز بأنه ولد مزودا باستعدادات طبيعية تختلف بطبيعتها عن تلك الغرائز التي يتميز بها الحيوان. وقد حدد "بيرت" معنى هذا الاستعداد الطبيعي في أنه "ميل فطري مركب" موجود في كل أفراد النوع، ويدفع الفرد إلى :

- أن يدرك وأن ينتبه إلى أشياء بعينها.
- أن يستثار بهذه الأشياء، سروراً أو حزنا، كلما دخلت في حيز إدراكه. وبذلك تدفعه لأن يسلك بطريقة يمكن أن تكفل أمنه وسلامته في نهاية الأمر.

ومن بين منتقدي نظرية ماكدوجال العالم الإنجليزي "فيرنون" ، وكانت حجته الرئيسية ضد نظرية الغرائز أن الكائنات البشرية لا تبدى أنماط أو قوالباً جامدة من السلوك الفطري أو غير المتعلم. فكل ما يتصف بالثبات من سلوك الإنسان فقط أفعاله المنعكسة البسيطة. وتأيدت نفس الفكرة بواسطة علما الانثروبولوجيا حيث تم التوصل من خلال بحوثهم إلى أن ما كان يعتبر من الغرائز السائدة، كالعدوان والتملك، والجنس، تختلف أشكاله من قبيلة لأخرى بصورة واضحة.

وأشار "البورت" أيضاً إلى "فكرة الاستقلال الوظيفي للدوافع" ويقصد بذلك التعبير أن الإنسان يكتسب دوافع جديدة هي مشتقة أصلاً من دوافع أساسية، بحيث تصبح هذه الدوافع المكتسبة مستقلة عن الدوافع الأصلية تماماً. ومن الأمثلة الشائعة على ذلك تعاطي المخدرات، أو التدخين، أو نمو الاتجاهات المهنية، وغيرها من الأنشطة التي تستمر في تحقيق اشباعات معينة للفرد زمناً طويلاً بعد أن تستقل عن الدوافع الأولية التي بدأت معها.

ويعرّف "ماكدوجال" الغريزة بأنها استعداد فطري عصبي نفسي يهيئ الفرد لأن ينتبه إلى مثيرات خاصة ذات صلة بهذا الاستعداد الفطري وموجودة في البيئة الخارجية للفرد أي ضمن إدراكه الحسي. وبناء على هذا الانتباه فإن الفرد ينفعل ويتخذ انفعاله صورة خاصة ثم يسلك نحو هذه المثيرات ويتخذ سلوكه لونا خاصاً يميزه عن بقية أنماط سلوك الفرد بالنسبة لمثيرات أخرى.

ويقسم "ماكدوجال" الغرائز إلى نوعين:

(١) الغرائز الفردية : كالجوع (يعبر عنها بالبحث عن الطعام) وغريزة التملك (الاستحواذ) ، وغريزة الخوف (يعبر عنها بالهروب والفزع).

(٢) الغرائز الاجتماعية : مثل غرائز الجنس (المحافظة على النـوع) ، والأمومة (الوالدية) والـسيطرة والتـسلط والخـضوع والمقابلـة والتجمع. (١)

ب- تفسير "فرويد" :

حاول فرويد أن يجد أساسـاً فـسيولوجياً لمفهـوم الغريـزة عنـد ماكدوجال، حيث افترض أن هناك غريزتين أساسيتين هما: غريزة الحياة ، وغريزة الموت.

وتشتمل غرائز الحياة على الغرائز الجنسية، والغرائـز المتـصلة بالجوع والعطش (العضوية) في حين لم يشير فرويـد بوضـوح إلـى الغرائز المتصلة بغريزة الموت، وإن كانت غريزة العدوان إحدى هـذه الغرائز.

وتعرف الغريزة بأنها قدر أو كمية من الطاقة النفسية وهي مجتمعة تمثل المجموع الكلي للطاقة النفسية المتاحة للشخص، ويقوم الهو باختزان هذه الطاقة باعتباره مركز الغرائز ومستقرها، كما يعـد مولـد للطاقـة النفسية اللازمة للقيام بالعديد من العمليات العديدة للشخصية. وتستمد هذه الطاقة من العمليات الحيوية(عمليات الهدم والبناء) في الجـسم. وتتميـز

---

(١) أنظر : سعد عبدالرحمن ، السلوك الإنساني ، ١٩٧١ ، صـ٨٨ – ٩٠.

الغريزة بأربع خصائص مميزة : مـــصدرها، وهـــدفها، وموضـــوعها، وقوتها الدافعة.

مصدرها : هو الحالة البدنية أو الحاجة. حيث تعرف الغريزة بأنا التمثيل السيكولوجي الفطري لمصدر بدني داخلي للاســـتثارة. ويـــسمى التمثـــل السيكولوجي لها "الرغبة".

وهدفها : هو التخلص من ألم الحاجة (الرغبة)، فهدف غريـــزة الجـــوع مثلاً هو التخلص من حالة نقص التغذية، ويتم بتناول الطعام.

موضوعها : لا يقتصر على شيء بعينه أو حالة تشبع الحاجة بـــل أنـــه يتضمن كذلك كل أشكال السلوك الذي يحدث مستهدفاً الحـــصول علـــى الشيء.

والقوة الدافعة : لغريزة ما فهي قوتها أو شدتها التي تحددها شدة أو قوة الحاجة المحركة لها(١).

وهنا يُطرح سؤال : هل تصدر دوافع الإنسان عن نفس الأصل الغريزي الثابت والذي لا يقبل التغيير؟ وهل الجنس والعدوان هما بالفعل أســـاس كل دوافع الإنسان؟ وهل للدوافع اللاشعورية مثل تلـــك الأهميـــة التـــي

---

(١) أنظر : نظريات الشخصية ، هول ولندزي ، ١٩٧١ ، صـــ٦٢ ، ٦٣.

أعطاها لها فرويد ، حيث أساليب سلوك الإنسان تعبيرات حتمية لتلك التكوينات اللاشعورية؟

التفسير العصبي :

يرى أصحاب هذا الاتجاه ويتزعمهم (هب ، ١٩٦٩) أن الجهاز العصبي عند الإنسان في حالة من النشاط الدائم سواء كانت هناك مثيرات خارجية أم لا، وهذا بالطبع ينطبق على كل أجزاء الجهاز العصبي. وهذا يعني أن هناك دوافع لا تحتاج إلى مثيرات خارجية كى تنشط وينفعل الإنسان مثل دوافع الجوع أو الجنس بل تكون هذه الدوافع في حالة نشاط نسبية تتعلق بنشاط الجهاز العصبي للفرد. ويأتي تفسيرهم من خلال توضيح طبيعة عمل الخلية العصبية وجهاز التنبيه في المخ.

ويقدم "كانون – بارو" تفسيراً عصبياً للانفعال يتلخص في :

أن السيالات العصبية المترتبة على المثيرات الداخلية تمضي عبر الثلاموس مستثيرة حساسيته، فيمررها إلى القشرة المخية، (حيث العمليات العقلية العليا) ومنه بعد ذلك إلى أعضاء الجسم المختلفة والعضلات والأطراف.